قبلة الوزيرة

عائشة بلحاج

تقف الوزيرة المغربية على بَنان قدميها، لتبلغ طول رفيقها، من أجل قبلة، غافلة عن العيون المترصّدة خلف الكاميرا. من سو، حظ الوزيرة أنّ العيون كانت على رفيقها، وإلّا لما علم أحدٌ في بلادها بالقبلة، ولا بشجونها. كان يمكن أن تمرّ اللحظة بلا أثر. ولكن لأن الوزيرة وزيرة طاقة ومعادن، لا غيرها، فقُبلتها غير باقي القبلات، لأنّها أولاً ذات أبعاد طاقيّة، بسبب طرفيها، ثانياً، لأنّها قبلة سياسية معرّضة للضوء، الساطع، حسب موازين القوى، سواء أكانت الطاقة المعنية بالقبلة متجدّدة، بريئة من مخاطر التلوّث، أم تقليدية تؤدّي إلى الاحتباس الحراري، فقد أدّت إلى تضرّر طبقة الأوزون في حياة وزيرة «الانتقال الطاقي» ليلى بنعلي. وردّها بأنّها تتعرّض منذ فترة لضغوط، منها هذه الصورة المزعومة، دليل على ذلك. الواقع أنه لا حرج على السّيدة أن تعيش حياتها. فهي ليست من حزب له خلفية دينية، يستغلها سياسياً، ولم تخطّب بالعفة بين الناس. ولكن الحرج يكمن في الطاقة التي أشعلت القبلة.

الطريف في الواقعة دخولها في ظاهرة لجوء السياسيين إلى باريس، بعيداً عن رادار العيون الفضولية، كأنها جزيرة بعيدة، بينما هي فخّ قريبٌ ينتظر كل ذي حساب سياسي، طبعاً، لا تصطاد الكاميرا الجميع، فهناك من تُغمّض عنهم العيون، وهناك من يقودُهم سوء الحظ إلى فخ الكاميرات والعيون. أثارت قبلة الوزيرة الاهتمام أكثر من لوحة «القبلة» للنمساوي جوستاف كليمت، التي صُكّت من أجل ذكراها عام 2003 عملة من فئة مائة يورو. لكن، لن تُصكّ لوحات تخلّد لحظة فارقة في حياة سياسية خاملة، خالية من التوابل، بعدما غاب عن الواجهة عبد الإله بنكيران وسعد الدين العثماني، اللذان كانا محط الفكاهة السّياسية، التي لم تكن تخلو من تحامل، بغض النّظر عن الأحكام التي رأت أن الوزيرة يجب أن تكون أكثر مراعاة لمنصبها، ولبلدها «الغيور على بنائه». لقد ورد هذا التعبير بالفعل في معلّقين، «خائفين» على سمعة البلاد، ولم أخترعه. سرّ ثقل وزن القبلة يكمن في الطرف الثاني في «الصورة المزعومة»، وهو الملياردير الأسترالي أندرو فوريست، وهو صاحب شركات عملاقة في مجال الطاقة الخضراء والمعادن، فوجود علاقة بين صاحب شركة وقّعت عقوداً لتزويد البلاد ببعض المصادر الطاقية، والمسؤولة الأولى عن الطاقة في البلاد، أمر غير محمود في أحسن الأحوال. يجدُر الذكر أن الصورة لم تُظهر وجه الوزيرة، التي نفت في بلاغ (بيان) لها أن تكون هي المرأة ذات القبلة. لذا افتقرت القُبلة لإثبات الهوية. كما أن الصحيفة الأسترالية «ذا أستراليان»، لم تنشر مزيداً من الصور، وكان بإمكانها فعل ذلك. طالما أن المصوّر لن يكتفي بصورة واحدة؛ فلا شك أن لديه لقطات أخرى للعاشقين. حتى وهما خارج لحظة كهربائية كهذه. ما يؤكّد كلام الوزيرة أنها ورقة ضغط، للامتناع عن نشر ما يؤكّد هوية صاحبة القبلة. وتبقى القبلة شهادة على أن قبلة السّياسي (السياسية هنا) قد تكون مصدر إشعاع قوي، إذا لم تجر إحاطتها بجدران سميكة. حذفت الصحيفة الصورة لاحقاً، لكن موقعاً مغربياً تلقى المشعل وتولى التّحليل، بلغت الانتباه إلى حذاء الوزيرة، الذي يطابق حذاء السيدة صاحبة القبلة، فهي على ما يبدو تفضّل هذا النوع من الأحذية. مع العلم أن التسريحة هي تسريحة الوزيرة، مع نوعية اللباس الذي تفضّله...

انطفأت القضية مع «بلاغ» الوزيرة، ولم نعرف تأثيراتها الطاقية، وهذا الذي يهمّنا. لكن المجتمع تهمّه القبلة، ولا يُستبعد أن تغادر الوزيرة الحكومة في أي تعديل وزاري محتمل، فالوسط السياسي يتسامح مع المصالح السياسية، لكنه لا يتسامح مع ما يفعله فردٌ «بالهوية السياسية»، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بامرأة. ربما لو لم تنفِ الوزيرة أن تكون هي من في الصورة، وأكّدت على عدم تعارض خياراتها الشخصية مع مهامها، خاصة أنها خبيرة طاقة، وأيّ تواصل بينها وبين ثريّ الطاقة قد يكون سابقاً لأيامها في الوزارة. لو لم تنفِ القبلة، لحقّقت نصراً سياسياً، لكنّ لحمَ السياسة مرّ، ولا يقبل بالتوابل الحارّة، ولا بشرارات ترفع حرارة خريف الحكومة القادم.

الهراء العربي

اسامة ابو ارشيد

لربما لو كان الكاتب الإنكليزي تشارلز لوتويدج دودسون عربيًا على قيد الحياة لكان اختار مقاربة مختلفة لروايته الشعبية الشهيرة «أليس في بلاد العجائب» المنشورة عام 1865، وكتبها باسم مستعار هو لويس كارول. تحكي الرواية عن فتاة صغيرة تدعى أليس لحقت بأرنب راته يُخرِجُ ساعة من جيبه وعلامات القلق بادية على وجهه، ثمّ يركض مسرعاً ويقفز في حفرة، فتقفز وراءه لتبدأ مغامراتها في عالم خيالي تسكنه مخلوقات غريبة. ذلك، أما إن كنت تروم الدقة، فالأصوب أن تقول: «إن لم تسقط فاصنع ما شئت».

لنعد إلى السياق الزماني لانعقاد هذا الاجتماع، الذي لا تتردّد الصحافة الأميركية في تحديد هدفه المتمثل بالتنسيق والتصدّي لإيران، وكذلك البحث في مستقبل قطاع غزّة عندما تنتهي إسرائيل من جريمة الإبادة التي ترتكبها فيه. إذا كان هذا الاجتماع، حسب تأكيد «أكسيوس»، قد جرى في بحر الأسبوع الجاري، فإنه دعا من بين السبت والأربعاء الماضيين، أي أنه جاء في أعقاب المجزرة الوحشية التي ارتكبتها إسرائيل، بدعم أميركي معلن، في مخيّم النصيرات، وسط القطاع، والتي استشهد فيها ما لا يقل عن 274 شخصاً، وأصيب ما لا يقل عن 700، غالبهم من النساء والأطفال والمدنيين، طبعاً مجزرة النصيرات واحدة من مئات مثلها شهدها قطاع غزّة يوميًا على مدى الأشهر الثمانية الماضية. وفي حين تتحشرج حناجر ذلك الفريق من المحرر المشارك في اجتماع البحرين لتزويد البلاد ببعض المصادر الطاقية، والمسؤولة الأولى عن الطاقة في البلاد، أمر غير محمود في أحسن الأحوال. يجدُر الذكر أن الصورة لم تُظهر وجه الوزيرة، التي نفت في بلاغ (بيان) لها أن تكون هي المرأة ذات القبلة. لذا افتقرت القُبلة لإثبات الهوية. كما أن الصحيفة الأسترالية «ذا أستراليان»، لم تنشر مزيداً من الصور، وكان بإمكانها فعل ذلك. طالما أن المصوّر لن يكتفي بصورة واحدة؛ فلا شك أن لديه لقطات أخرى للعاشقين. حتى وهما خارج لحظة كهربائية كهذه. ما يؤكّد كلام الوزيرة أنها ورقة ضغط، للامتناع عن نشر ما يؤكّد هوية صاحبة القبلة. وتبقى القبلة شهادة على أن قبلة السّياسي (السياسية هنا) قد تكون مصدر إشعاع قوي، إذا لم تجر إحاطتها بجدران سميكة. حذفت الصحيفة الصورة لاحقاً، لكن موقعاً مغربياً تلقى المشعل وتولى التّحليل، بلفت الانتباه إلى حذاء الوزيرة، الذي يطابق حذاء السيدة صاحبة القبلة، فهي على ما يبدو تفضّل هذا النوع من الأحذية. مع العلم أن التسريحة هي تسريحة الوزيرة، مع نوعية اللباس الذي تفضّله...

انطفأت القضية مع «بلاغ» الوزيرة، ولم نعرف تأثيراتها الطاقية، وهذا الذي يهمّنا. لكن المجتمع تهمّه القبلة، ولا يُستبعد أن تغادر الوزيرة الحكومة في أي تعديل وزاري محتمل، فالوسط السياسي يتسامح مع المصالح السياسية، لكنه لا يتسامح مع ما يفعله فردٌ «بالهوية السياسية»، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بامرأة. ربما لو لم تنفِ الوزيرة أن تكون هي من في الصورة، وأكّدت على عدم تعارض خياراتها الشخصية مع مهامها، خاصة أنها خبيرة طاقة، وأيّ تواصل بينها وبين ثريّ الطاقة قد يكون سابقاً لأيامها في الوزارة. لو لم تنفِ القبلة، لحقّقت نصراً سياسياً، لكنّ لحمَ السياسة مرّ، ولا يقبل بالتوابل الحارّة، ولا بشرارات ترفع حرارة خريف الحكومة القادم.

الهراء العربي

اسامة ابو ارشيد

لربما لو كان الكاتب الإنكليزي تشارلز لوتويدج دودسون عربيًا على قيد الحياة لكان اختار مقاربة مختلفة لروايته الشعبية الشهيرة «أليس في بلاد العجائب» المنشورة عام 1865، وكتبها باسم مستعار هو لويس كارول. تحكي الرواية عن فتاة صغيرة تدعى أليس لحقت بأرنب راته يُخرِجُ ساعة من جيبه وعلامات القلق بادية على وجهه، ثمّ يركض مسرعاً ويقفز في حفرة، فتقفز وراءه لتبدأ مغامراتها في عالم خيالي تسكنه مخلوقات غريبة. ذلك، أما إن كنت تروم الدقة، فالأصوب أن تقول: «إن لم تسقط فاصنع ما شئت».

لنعد إلى السياق الزماني لانعقاد هذا الاجتماع، الذي لا تتردّد الصحافة الأميركية في تحديد هدفه المتمثل بالتنسيق والتصدّي لإيران، وكذلك البحث في مستقبل قطاع غزّة عندما تنتهي إسرائيل من جريمة الإبادة التي ترتكبها فيه. إذا كان هذا الاجتماع، حسب تأكيد «أكسيوس»، قد جرى في بحر الأسبوع الجاري، فإنه دعا من بين السبت والأربعاء الماضيين، أي أنه جاء في أعقاب المجزرة الوحشية التي ارتكبتها إسرائيل، بدعم أميركي معلن، في مخيّم النصيرات، وسط القطاع، والتي استشهد فيها ما لا يقل عن 274 شخصاً، وأصيب ما لا يقل عن 700، غالبهم من النساء والأطفال والمدنيين، طبعاً مجزرة النصيرات واحدة من مئات مثلها شهدها قطاع غزّة يوميًا على مدى الأشهر الثمانية الماضية. وفي حين تتحشرج حناجر ذلك الفريق من المحرر المشارك في اجتماع البحرين لتزويد البلاد ببعض المصادر الطاقية، والمسؤولة الأولى عن الطاقة في البلاد، أمر غير محمود في أحسن الأحوال. يجدُر الذكر أن المصوّر لن يكتفي بصورة واحدة؛ فلا شك أن لديه لقطات أخرى للعاشقين. حتى وهما خارج لحظة كهربائية كهذه. ما يؤكّد كلام الوزيرة أنها ورقة ضغط، للامتناع عن نشر ما يؤكّد هوية صاحبة القبلة. وتبقى القبلة شهادة على أن قبلة السّياسي (السياسية هنا) قد تكون مصدر إشعاع قوي، إذا لم تجر إحاطتها بجدران سميكة. حذفت الصحيفة الصورة لاحقاً، لكن موقعاً مغربياً تلقى المشعل وتولى التّحليل، بلفت الانتباه إلى حذاء الوزيرة، الذي يطابق حذاء السيدة صاحبة القبلة، فهي على ما يبدو تفضّل هذا النوع من الأحذية. مع العلم أن التسريحة هي تسريحة الوزيرة، مع نوعية اللباس الذي تفضّله...

انطفأت القضية مع «بلاغ» الوزيرة، ولم نعرف تأثيراتها الطاقية، وهذا الذي يهمّنا. لكن المجتمع تهمّه القبلة، ولا يُستبعد أن تغادر الوزيرة الحكومة في أي تعديل وزاري محتمل، فالوسط السياسي يتسامح مع المصالح السياسية، لكنه لا يتسامح مع ما يفعله فردٌ «بالهوية السياسية»، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بامرأة. ربما لو لم تنفِ الوزيرة أن تكون هي من في الصورة، وأكّدت على عدم تعارض خياراتها الشخصية مع مهامها، خاصة أنها خبيرة طاقة، وأيّ تواصل بينها وبين ثريّ الطاقة قد يكون سابقاً لأيامها في الوزارة. لو لم تنفِ القبلة، لحقّقت نصراً سياسياً، لكنّ لحمَ السياسة مرّ، ولا يقبل بالتوابل الحارّة، ولا بشرارات ترفع حرارة خريف الحكومة القادم.

«متلازمة الاستسلام» وأطفال غزّة

سوسن جميل حسن

عرضت قناة دويتشه فيله الألمانية قبل أيام فيلماً وثائقيًا عن حالة عائلة من شعب الروما من كوسوفو تأمل في الحصول على حقّ اللجوء في السويد، لديها ثلاثة أولاد. يريد الابن الصغير الهروب من حياته اليومية الصعبة، ويحلم بالسفر في سفينة فضائية إلى سطح المرّيخ، بينما دخلت شقيقتاه في غيبوبة غامضة ناجمة عن الإجهاد. وليست هذه الحالة التي يحكي عنها التقرير الأولي، فقد حدثت أعراض مشابهة لأطفال لاجئين سوريين في السويد منذ سنوات، وأيزيديين في هولندا أيضاً.

تبدو الفتاتان نائمتين، إنما لا ترتكسان إلى المنبّهات الخارجية، أما تخطيط الدماغ فيظهر وظائف طبيعية، ليست هناك إصابة دماغية، ولا أمراض جسدية، لكن حالة النوم أو الغيبوبة فني ولوجيستي عسكري» على ساحل البحر الأحمر شرقي السودان. في تطور جاء في أعقاب زيارة نائب وزير الخارجية الروسي بوريسوف للمشاركة في منتدى سان بطرسبرغ من 5 إلى 8 يونيو/ حزيران الحالي، وتعيد هذه الخطوات إلى واجهة الأحداث التفاهمات السابقة بين البلدين بشأن إقامة قاعدة روسية على البحر الأحمر، كان قد جرى تجميدها بسبب رفض ومخاوف وعقبات داخلية، وضغوط دولية وتحفظات إقليمية.

ووفق مصادر سودانية، نصت مسودة الاتفاق على دعم الجيش السوداني ومنحه عتاداً حربياً وفق بروتوكول منفصل، وعلى ألا يتعدى الوجود الروسي بنقطة الدعم اللوجستي 300 فرد فقط، وألا يتعدى عدد السفن أربع قطع، والتشديد على أن الاتفاق غير موجّه ضد أي دولة، ويسري فور التوقيع عليه. ويمكن القول إن المحادثات الجارية بشأن التعاون العسكري مع روسيا جزء من الصراع على النفوذ في منطقة البحر الأحمر، وتعزيز الوجود الروسي في وسط أفريقيا وغربها. وبالنسبة للولايات المتحدة، الاتفاق مع روسيا بشأن مركز لوجستي خصوصاً العسكرية والأمنية، وعلى وقع حربين في أوكرانيا والسودان، مع تحرّكات متبادلة ومتسارعة لتعزيز العلاقات. وقد بدأ التعاون بين البلدين في زمن الاتحاد السوفييتي، ثم استجدّت تطورات عديدة في السودان، تدهورت بعدها العلاقات، غير أننا اليوم أمام جولة جديدة من هذا التعاون، ومن ذلك ما ذكرته مصادر عديدة عن اتفاق الخرطوم وموسكو على مسودة اتفاق يمنح الأخيرة «مركز دعم للتحوّل الأمني في أفريقيا» يعيد إلى الأذهان الصراع على الموانئ السودانية، وتحديداً بورتسودان، ميناء البحر الأحمر الرئيسي الوحيد للبلاد، ثم وضعت جاثحة كورونا حدّاً للمشروع، ويظهر موضوع آخر بشكل دوري في وسائل الإعلام، وهو بناء محطة للطاقة النووية في السودان. وبغض النظر عن مدى حاجة البلاد إلى الكهرباء، فقد جرى وضع هذا الموضوع على الرفّ لأسباب نفسها التي تمنع تعدين الذهب وتكرير النفط ومشاريع أخرى، بسبب الفوضى وعدم القدرة الفعلية على السيطرة على البلاد.

وتكمن أهمية هذه القاعدة العسكرية أو المركز اللوجستي، بالنسبة لروسيا في موقعها الاستراتيجي على ساحل البحر الأحمر، ما يمنح موسكو نقطة انطلاق بحرية هامة في منطقة حيوية للتجارة العالمية، ونقطة عبور رئيسية لحركة الملاحة البحرية، وتُساهم في تعزيز النفوذ الروسي في أفريقيا، وتوسيع نطاق وجودها العسكري في القارة، ما قد يمنحها مزايا جيوسياسية واقتصادية، كما يمكن استخدام القاعدة لدعم العمليات العسكرية الروسية في المنطقة، مثل مكافحة القرصنة أو التدخّل في النزاعات الإقليمية، وقد تُتيح فرصًا للتعاون العسكري مع دول أفريقية أخرى، وتعزيز مبيعات الأسلحة الروسية.

وتتوقع الخرطوم الحصول على دعم عسكري من روسيا، بما في ذلك الأسلحة والتدريب، ما قد يعزّز قدراتها الدفاعية ويُساعدها في مكافحة التمرّدات الداخلية والجماعات المسلحة، وتأمل السودان في الحصول على مساعدة اقتصادية من روسيا، مثل الاستثمارات في البنية التحتية أو مشاريع الطاقة، وترى السودان في القاعدة فرصة لتعزيز علاقاتها مع روسيا، وهي دولة نووية ذات نفوذ متزايد في العالم. وتخشى أطراف سودانية أن تُشكّل القاعدة العسكرية تهديدًا لسيادة بلادهم، وأن تُصبح روسيا تُهيمن على قراراتها، وقد تُؤدي إلى توترات في علاقات السودان مع دول إقليمية أخرى. وبشكل عام، تُعد القاعدة العسكرية الروسية في السودان موضوعاً معقداً على كل من موسكو والخرطوم.

تتوقع الخرطوم الحصول على دعم من روسيا، بما في ذلك الأسلحة والتدريب

(كاتب عربي في أستانة)

كاريكاتير عماد حجاج

عن قاعدة عسكرية روسية في السودان

باسل الحاج جاسم

تشهد العلاقات بين السودان وروسيا تطورات ملحوظة، مدفوعة بمصالح مشتركة، وتعاون تاريخي، وتتصف بزيادة التعاون في مختلف المجالات، خصوصاً العسكرية والأمنية، وعلى وقع حربين في أوكرانيا والسودان، مع تحرّكات متبادلة ومتسارعة لتعزيز العلاقات. وقد بدأ التعاون بين البلدين في زمن الاتحاد السوفييتي، ثم استجدّت تطورات عديدة في السودان، تدهورت بعدها العلاقات، غير أننا اليوم أمام جولة جديدة من هذا التعاون، ومن ذلك ما ذكرته مصادر عديدة عن اتفاق الخرطوم وموسكو على مسودة اتفاق يمنح الأخيرة «مركز دعم للتحوّل الأمني في أفريقيا» يعيد إلى الأذهان الصراع على الموانئ السودانية، وتحديداً بورتسودان، ميناء البحر الأحمر الرئيسي الوحيد للبلاد، ثم وضعت جائحة كورونا حدّاً للمشروع، ويظهر موضوع آخر بشكل دوري في وسائل الإعلام، وهو بناء محطة للطاقة النووية في السودان. وبغض النظر عن مدى حاجة البلاد إلى الكهرباء، فقد جرى وضع هذا الموضوع على الرفّ لأسباب نفسها التي تمنع تعدين الذهب وتكرير النفط ومشاريع أخرى، بسبب الفوضى وعدم القدرة الفعلية على السيطرة على البلاد.

وتكمن أهمية هذه القاعدة العسكرية أو المركز اللوجستي، بالنسبة لروسيا في موقعها الاستراتيجي على ساحل البحر الأحمر، ما يمنح موسكو نقطة انطلاق بحرية هامة في منطقة حيوية للتجارة العالمية، ونقطة عبور رئيسية لحركة الملاحة البحرية، وتُساهم في تعزيز النفوذ الروسي في أفريقيا، وتوسيع نطاق وجودها العسكري في القارة، ما قد يمنحها مزايا جيوسياسية واقتصادية، كما يمكن استخدام القاعدة لدعم العمليات العسكرية الروسية في المنطقة، مثل مكافحة القرصنة أو التدخّل في النزاعات الإقليمية، وقد تُتيح فرصًا للتعاون العسكري مع دول أفريقية أخرى، وتعزيز مبيعات الأسلحة الروسية.

وتتوقع الخرطوم الحصول على دعم عسكري من روسيا، بما في ذلك الأسلحة والتدريب، ما قد يعزّز قدراتها الدفاعية ويُساعدها في مكافحة التمرّدات الداخلية والجماعات المسلحة، وتأمل السودان في الحصول على مساعدة اقتصادية من روسيا، مثل الاستثمارات في البنية التحتية أو مشاريع الطاقة، وترى السودان في القاعدة فرصة لتعزيز علاقاتها مع روسيا، وهي دولة نووية ذات نفوذ متزايد في العالم. وتخشى أطراف سودانية أن تُشكّل القاعدة العسكرية تهديدًا لسيادة بلادهم، وأن تُصبح روسيا تُهيمن على قراراتها، وقد تُؤدي إلى توترات في علاقات السودان مع دول إقليمية أخرى. وبشكل عام، تُعد القاعدة العسكرية الروسية في السودان موضوعاً معقداً على كل من موسكو والخرطوم.

تتوقع الخرطوم الحصول على دعم من روسيا، بما في ذلك الأسلحة والتدريب

(كاتب عربي في أستانة)

في فشل الليبرالية الجديدة وصعود اليمين العنصري

عمار ديوب

أصبح اليمين القوّة السياسية الثانية في عدة دول أوروبية؛ ولكنه تراجع في السويد والدنمارك وفنلندا، وتقدّم في إيطاليا، وفي فرنسا وألمانيا تعدّت أرقام المؤيدين له المؤيدين لكل من الرئيس ماكرون والمستشار شولتز؛ وإذ أعلن ماكرون ما يشبه النفير، وأن البلاد أصبحت بين أن يحكمها العنصريون أو الديمقراطيون، وحلّ البرلمان ودعا إلى انتخابات تشريعية، في الأسابيع المقبلة، قاصداً الوصول إلى أوسع تحالف بين المحافظين والاشتراكيين والليبراليين وربما اليسار، فإن اليمين العنصري، أو المتطرّف فرض نفسه على أوروبا، وسيتمثّل إمّا في كثير من الحكومات الأوروبية أو سيشكّل كتلة مؤثرة في قراراته، وفي فرنسا بالتأكيد، وفي البرلمان الأوروبي، سيكون قادراً على تعطيل آيّة قرارات تتعاطى مع استقبال المهاجرين واللاجئين، وسيعزّز من قوانين الأمن، وهو يرفض الدعم الكبير لأوكرانيا، واقساماً منه تجد في بوتين مثالاً لها، وسيعمل على تعطيل برامج الاتحاد الأوروبي بخصوص الطاقة الخضراء والعودة إلى الطاقة الأحفورية.

ما لا يجوز تهميشُه هو الخلافات بين أحزاب اليمين المتطرّف، وهذا يعني أنّها ليست على سياسة واحدة؛ فبعضها يفضل الانفصال عن الاتحاد الأوروبي، ويضع الهوية القومية في مقدمة خياراته السياسية. ولدى بعض آخر شيء من التردد تجاه الاتحاد الأوروبي، وتُعتبر كتلة معتبرة محافظة بالمعنيين، الثقافي والاقتصادي، ومنها من يؤيد أميركا، وبعضها يؤيد روسيا. ما يجمع كل هذه التيارات، كما تذكر تقارير صحافية، العداء تجاه المهاجرين، عربًا ومسلمين، وأفارقة، ولاتين، وتميل أغلبيّتها إلى معاداة حقوق النساء والأقليات والمثليين.

جاء محلّلون على تبنّي الأحزاب التي تقود دولاً أوروبية كثيرة بعض أفكار اليمين العنصري هذا، وأن بلد توجد فيه أنّها معنية بالنهوض بدولتها الخاصة «أولاً». وقد أكد ذلك زعيم النمسا في عام 2000، ويبدو أن زعيمي إيطاليا وفرنسا وسواهما يتجهون إلى الأولويات ذاتها، ولكن ورغم الخلافات بين قوى اليمين، وأشرنا لبعضها، ستتعزّز قيم الهوية الوطنية والعرقية أكثر فأكثر ومناهضة الأجانب والمختلفين دينياً، وهذا ما تتبناه أغلبية الدول، أميركا، روسيا، الصين، الهند.

وصول اليمين «الجذري» إلى الحكم في أوروبا دلالة كبرى على أزمة عميقة في النظام الرأسمالي، فهل يمكن أن تعود السياسات الفاشية والنازية والعسكريتارية؟ الخطر هنا، إذاً، الخطر على الداخل الأوروبية وعلى العالم كله، كما الحال في كل الدول التي تتبنّى سياسات قائمة على الهوية العرقية الواحدة، والتنافس العسكري، ومحاربة الاتجاهات السياسية وتلك المجتمعات تعرضت للدمار حتى صار البناء في المستقبل يحتاج إلى كثير من الأموال والسنوات، فإن الجيل المخول بالبناء يحتاج إلى علاج وتأهيل كي يكون قادراً على النهوض ببلاده، وهذا أخطر ما سيُبتلى الحروب في المنطقة، وكان تلك القوى المتصارعة فوق أراضي هذه البلاد تضع نُصب عينيها هذا الهدف المستقبلي، على الرغم من خطاباتها المعلنة حول القيم الإنسانية وحقوق الإنسان. فإذا كانت سيكولوجية الحروب تسعى إلى دراسة الآثار العاطفية والمعرفية والسلوكية للنزاعات المسلحة في الأفراد والمجتمعات، فإن هذه الدراسة التي يلزمها كثير من الوقت والإمكانات والتخصصات، ستكون معقّدة للغاية في غزّة، لأن اليوم التالي الذي يبدأ من لحظة صمت المدافع والطيران والمسيّرات، سيجعل الحقيقة صادمة أكثر من كل فترة الحرب التي لا يظهر توقيت لنهايتها، إذ لكل ما يمكن أن يكون قد ارتكب من فظائع، وكل ما خلّفت الحرب وراءها، خصوصيّة فائقة، فغزّة التي لا تزيد مساحتها عن مساحة مدينةٍ صغيرة في الدول الكبرى، ويعيش فيها أكثر من مليونين وأربعمائة ألف نسمة، محاصرة من كل الجهات بالحديد والنار، لم تتوقّف فيها الغارات ساعة، ستكون آثار الحرب فيها، بالقياس، أكبر بكثير من أي حرب في التاريخ الحديث.

ليت «متلازمة الاستسلام» التي تتحدّث عنها التقارير الطبية، تكون متاحة لأطفال غزّة، فترحمهم من مراكمة مزيد من مشاهد الحرب والفقدان

لحظتها سيستفيق الرعب مجدّدا في نفوس الأطفال الباقين على قيد الحياة، الرعب والهلع من اكتشاف الحقائق واستفاقة الأسئلة المستحيلة. ليست هذه الصورة المتوقعة من باب التشاؤم والسوداوية واليأس، بل من باب المنطق والاستقراءات المبنيّة على حقائق، ما يدفع إلى القول إن الخطط الطويلة التي تضعها وتمارسها إسرائيل، مدعومة من الغرب، في حروبها الدائمة منذ قيامها في هذه الحرب، والاستراتيجيات الأخرى من خلف الحروب التي اندلعت في المنطقة كلها، تستهدف المستقبل وليس الحاضر، إنها استثمار الحاضر لأجل المستقبل، فلا يبقى لمجتمع في المنطقة أن ينهض من تحت ركامه، وإسرائيل لا تخفي مشروعها، وتمارس وحشيّتها بكل قُطرسة وفجور وإسفاف وتسفيه للمنظمات والهيئات الدولية، من خلفها أميركا بشكل أساسي وحلفاؤها من الدول الغربية.

إطالة أمد الحرب، واللعب على الوقت في موضوع المفاوضات، سلوكٌ تمارسه إسرائيل بتصميم، فهي لا ترمي إلى الهدف الأولي المعلن من الحرب، وهو استعادة الرهائين، بشكل أساسي، بل ترمي إلى تدمير غزّة كاملة، أرضاً وبناءً، وبشراً، وهي ماضية في ارتكاب المجازر بحقّ المدنيين بالزخم نفسه منذ اليوم الأول، جديدها أخيرا مجزرة تحرير أربعة رهائن مقابل أكثر من 250 ضحية فلسطينية، و400 جريح، بالنسبة إليها ليسوا أكثر من أرقام، بينما كل ضحية هي قصة حياة كاملة، لا تنتهي بموتها، بل تخلف وراءها تراجيديا تُضاف إلى التراجيديا الكبرى، إلى المأساة الكبرى، إلى سجل الجرائم الإنسانية الذي تراكمه إسرائيل أمام أعين العالم. ليت «متلازمة الاستسلام» هذه التي تتحدّث عنها التقارير الطبية، تكون متاحة لأطفال غزّة، فترحمهم من مراكمة مزيد من مشاهد الحرب والفقدان، وتنتظرهم بعدها استفاقة على واقع أكثر رأفة بطفولتهم، يمدهم بالقدرة على بناء مستقبلهم.

(كاتبة سورية في برلين)

في فشل الليبرالية الجديدة وصعود اليمين العنصري

عمار ديوب

أصبح اليمين القوّة السياسية الثانية في عدة دول أوروبية؛ ولكنه تراجع في السويد والدنمارك وفنلندا، وتقدّم في إيطاليا، وفي فرنسا وألمانيا تعدّت أرقام المؤيدين له المؤيدين لكل من الرئيس ماكرون والمستشار شولتز؛ وإذ أعلن ماكرون ما يشبه النفير، وأن البلاد أصبحت بين أن يحكمها العنصريون أو الديمقراطيون، وحلّ البرلمان ودعا إلى انتخابات تشريعية، في الأسابيع المقبلة، قاصداً الوصول إلى أوسع تحالف بين المحافظين والاشتراكيين والليبراليين وربما اليسار، فإن اليمين العنصري، أو المتطرّف فرض نفسه على أوروبا، وسيتمثّل إمّا في كثير من الحكومات الأوروبية أو سيشكّل كتلة مؤثرة في قراراته، وفي فرنسا بالتأكيد، وفي البرلمان الأوروبي، سيكون قادراً على تعطيل آيّة قرارات تتعاطى مع استقبال المهاجرين واللاجئين، وسيعزّز من قوانين الأمن، وهو يرفض الدعم الكبير لأوكرانيا، واقساماً منه تجد في بوتين مثالاً لها، وسيعمل على تعطيل برامج الاتحاد الأوروبي بخصوص الطاقة الخضراء والعودة إلى الطاقة الأحفورية.

ما لا يجوز تهميشُه هو الخلافات بين أحزاب اليمين المتطرّف، وهذا يعني أنّها ليست على سياسة واحدة؛ فبعضها يفضل الانفصال عن الاتحاد الأوروبي، ويضع الهوية القومية في مقدمة خياراته السياسية. ولدى بعض آخر شيء من التردد تجاه الاتحاد الأوروبي، وتُعتبر كتلة معتبرة محافظة بالمعنيين، الثقافي والاقتصادي، ومنها من يؤيد أميركا، وبعضها يؤيد روسيا. ما يجمع كل هذه التيارات، كما تذكر تقارير صحافية، العداء تجاه المهاجرين، عربًا ومسلمين، وأفارقة، ولاتين، وتميل أغلبيّتها إلى معاداة حقوق النساء والأقليات والمثليين.

جاء محلّلون على تبنّي الأحزاب التي تقود دولاً أوروبية كثيرة بعض أفكار اليمين العنصري هذا، وأن بلد توجد فيه أنّها معنية بالنهوض بدولتها الخاصة «أولاً». وقد أكد ذلك زعيم النمسا في عام 2000، ويبدو أن زعيمي إيطاليا وفرنسا وسواهما يتجهون إلى الأولويات ذاتها، ولكن ورغم الخلافات بين قوى اليمين، وأشرنا لبعضها، ستتعزّز قيم الهوية الوطنية والعرقية أكثر فأكثر ومناهضة الأجانب والمختلفين دينياً، وهذا ما تتبناه أغلبية الدول، أميركا، روسيا، الصين، الهند.

وصول اليمين «الجذري» إلى الحكم في أوروبا دلالة كبرى على أزمة عميقة في النظام الرأسمالي، فهل يمكن أن تعود السياسات الفاشية والنازية والعسكريتارية؟ الخطر هنا، إذاً، الخطر على الداخل الأوروبية وعلى العالم كله، كما الحال في كل الدول التي تتبنّى سياسات قائمة على الهوية العرقية الواحدة، والتنافس العسكري، ومحاربة الاتجاهات السياسية

لم يعد اليمين الأقصى هامشياً، والمشكلة أنّه يترافق مع ضعفٍ كبير للولايات المتحدة على صعيد الهيمنة على العالم

اليسارية والتعددية. إن تراجع دور المؤسسات الدولية، في التخفيف من أزمات العالم، وفي مقدّمتها أوكرانيا وغزّة وتايوان وسواها، يتضمّن قدراً من الإفلاس الكبير لهذه المؤسّسات وتراجعاً عن التعاون بين الدول المختلفة من أجل التخفيف من الأزمات العالمية؛ إن الخلاف بين روسيا والاتحاد الأوروبي وأميركا يكاد يوصل العالم إلى الحرب النووية، والتي كانت قبل عقود من المحرّمات.

من الخطأ التهويل بخطر القوى الأوروبية الثانية في اللحظة الراهنة، وربما قد تتبنّى بعض سياسات الأحزاب الحاكمة حالياً، حينما تصبح في السلطة، وتستطيع الأحزاب الحاكمة الاستمرار في الحكم، وسيكون لها الدور المركزي في سياسات الاتحاد الأوروبي، ولنقل لن تتمكّن كتلة اليمين الأقصى من فرض سياساتها، ونضيف هنا، تثمين أهمية بروز رأي عام أميركي وأوروبي واسع مناهض لدولة الاحتلال في فلسطين، ولسياسات كل من الأحزاب الحاكمة واليمين العنصري، وهذا هام، وأيضاً هل ستتمكّن الأحزاب الحاكمة، المحافظون والليبراليون واليسار من تهميش اليمين العنصري الصاعد، وتوسيع قاعدتها الشعبية من جديد؟ وهل ما فعله ماكرون بداية ذلك؟

لنتخطّى التساؤل الأخير سياسات جديدة عالمية ومحلية، وتجاه كل الأزمات المفتوحة في العالم، ولصالح الأكثرية الشعبية وانطلاقاً من قيم العدالة والمساواة والحرية وتحجيماً لسياسات الهوية وتفكيك المجتمعات؛ هنا الرهان، وسوى ذلك، سيستفيد اليمين من الأزمات الحادّة في الداخل الأوروبية «عدم الثقة بالنظام الديمقراطي، التضخم، ابتعاد الطبقة العاملة عن التصويت، الركود والتضخم والبطالة، وضعف دور أوروبا بالمقارنة مع روسيا وأميركا والصين، وسواها». وبالتالي، وفي حال بقاء الأوضاع كما هي حالياً، فإنّ أحزاب اليمين العنصري ستكون الأولى وليست الثانية في الأعوام المقبلة، وستتكرّر تجربة إيطاليا في الدول الغربية.

(كاتب سوري)

دوامة الحرب والمفاوضات

حسام كنفاني

لم نعد نذكر عدد المرات التي أقيمت فيها مفاوضات لوقف إطلاق النار في قطاع غزة، وعدد المرات التي انتهت فيها المحادثات إلى حائط مسدود، لتستمر آلة القتل في حصد مزيد من الأرواح. المفارقة أن كل المفاوضات كانت تقف عند عقدة واحدة، لم تتغير المواقف منها في أي من الجولات أو المقترحات، ومع ذلك يتم الدخول مجدداً في دوامة التفاوض، لترتفع الآمال، في غزة وخارجها، بإمكان وقف حرب الإبادة، ولو مؤقتاً، ليتمكن أهالي القطاع من التقاط أنفاسهم، وتلقي مساعدات تحميهم من التجويع الذي يعيشونه.

«إنهاء الحرب»، عنوان الخلاف الدائم في الجول

مقولة «الغرب» ومسألة النهوض

سيف الدين عبد الفتاح

كانت النيّة معقودة على تتويج مقالات الكاتب عن النهضة باعتماد بعض المفاهيم الدالّة على النهوض والتغيير، إلا أنني وجدت أن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات أصدر ثلاثة كتب مهمّة عن الغرب وتعريفه من الناحية المعرفية والحضارية. «ما الغرب؟»، فيليب نيمو (ترجمة مراد دياني، 2023). و«فكرة الغرب: الثقافة والسياسة والتاريخ»، ألاستير بوينت (ترجمة أحمد مغربي، 2018). و«ماذا تبقى من الغرب»، ريجيس دوبريه ورينو جيرار (ترجمة مراد دياني، 2023). ورأيت من المناسب الإشارة إليها في دراسة لمفهوم النهضة في الغرب، باعتباره حضارة مهمّة وأساسية حملت نموذجا جاذبا في عمليات النهوض؛ وكانت محلّاً لاهتمام ومقارنة من عديد من المفكّرين من حضارتنا. ويظل إسهام هذا النموذج مسألةً في غاية الأهمية لكل مشاريع النهوض في حضارتنا، سواء الناتجة من المشروع والنابعة من تصوّراته؛ أو تلك التصوّرات؛ بطبيعة الحال؛ التابعة لهذا النموذج الحضاري الغربي الطاغي الذي توقفت مقالات سابقة عنده، في استعراضها سؤال النهضة ووقوفها على صياغاته ومآلاته. من المهم التوقف عند هذه المعالجات، فلربما يُماط اللثام عن الحضارة الغربية والموقف منها، خاصة في ما يتعلق بنموذجها النهضوي، وما يستبطنه من أفكار تأسيسية لهذه الحضارة وصعودها. وذلك التوقف حريٌّ بدراسة تشريحية في عالم مفاهيم أساسية تؤكّد على سؤال الغرب، الذي قد يعالجه مقالٌ لاحقا ضمن منظومة الأسئلة بشأن الغرب، مبناه ومعناه ومغزاه الحضاري. ما يهمّ هنا هو ذلك التشريح الذي يعيننا على التوقف عند مضمون هذه المفاهيم، وتأثيرها في بناء النهضة الأوروبية والغربية، وهو ما يفيد في ناحيتين: بناء (وتصور) مفهومنا في النهوض، والمفهوم الغربي في النهضة. من المهم في هذا المقام أن يُشار إلى معضلة الغرب مع تأكيد أن الغرب ليس كتلة مُصمتة واحدة وهو يشهد تنوعات أساسية ثقافية ومجتمعية. ويمكننا في الوقت نفسه التأكيد أن الغرب ضمن تصوراته الكلية يمثل تيّارا رئيسياً غالبا وتيارات أخرى تمثل تياراتٍ على تنوعها، إلا أنها تمثل تيارات هامشية. تكمن هذه المعضلة في ما يمكن أن تقع من مناقضة؛ إذ يريد الغرب المتحكّم والغالب أن ينطلق بهما معا، «الغرب الفريد المتفرّد» بذاته

> هل نحن أمام حضارة التجاوز بلا حساب والانفلات من دون ناظم، والتشظّي من دون جامع؟
>
> عملية الانهيار أو عدمه ليست هي المهمّة؛ بقدر ما نحن بحاجة إلى وجود عقل استراتيجي للأمة يكون قادراً على فهم اللحظة التاريخية التي تمرّ بها الحضارة الإنسانية

وتكوينه، بصفته وسماته، والغرب الهادف نحو تنميط نموذج هيمنة، في ما سماه في مرحلته المتأخّرة «العولمة»، فهو بين غوايات التفرّد ووعود العولمة. ولعلّ هذا يشير أيضاً إلى أن المبشّر بنهاية التاريخ هو الذي يخشى انفتاحه، ضمن حديثٍ عن أفول أو تدهور أو تداول أو استبدال، وغالبا ما يبشّر هؤلاء بالنهاية التي هي علامة ضعف لا قوة، على عكس محتوى رؤية فوكوياما «نهاية التاريخ».

غرب المصالح وأزماته هو الذي يجعل الحضارة الغربية على المحكّ، تنوير الغرب إنما يؤشّر على هؤلاء الذين صنعوا المصباح وقرّروا ترويجه وبيعه، فقاموا بعرض قصير يوافق الإعلان الغربي التنويري، ثم قالوا إننا لا نستطيع تركه لكم، ولكن إن أردتم، فلتشتروه واصطحبوا مصباحهم يروّجونه، فمن طلب التنوير لا بد له أن يدفع، فصار التنوير بضاعة تُباع وتشترى، فإن عطّل المصباح على الرغم من شرائه، فطلبوا من الغرب إصلاحَه فدفعوا، فبدا الأمر وكأنه سلعة إنتاج التنوير على حدّ علمهم وعملهم. ومن الناحية الأخرى، كان ثمن تنويرهم هو «الدفع المستمر» من المال لتمويل التنوير المستمرّ ضمن عمليات استهلاكٍ لا تنتهي، وكأننا أمام السلع التنويرية لا نستطيع إنتاجها، ولكن نستطيع استهلاكها، وربما مع شهوة اقتنائها صارت تؤسّس لعقلية تكديس كما أشار إلى ذلك مالك بن نبي الذي فرّق بين حضارة التكديس وحضارة الإنتاج وحضارة الاستهلاك وحضارة التجارة، فحقّ بذلك أن يتحوّل التنوير إلى فكرة وثن، العبودية لحقتها من خلال عبودية التنوير، وأصنامه التي ابتدعها في «الفكرة الوثن».

تنازعني الكتابات في «الغرب» وحول «الغرب» وعن «الغرب» و«للغرب» وكلها مثلت اتجاهات حول النظر إلى الغرب فكرةً ونموذجاً. ولعل ذلك يجعلنا في «غمار الغرب» نتعامل مع كمٍّ من الكتابات ينظر إلى الغرب (وهو ليس قليلا) بروح الأماني، ويتعامل معه كما تصوّره هو نفسه، وما وقر في مخياله، خصوصاً تلك الكتابات عن انهيار الغرب، أو أفوله، والتي غالبا مع سياقات حالة تمنّت أفول الغرب بعد غلبته وسطوته، إلا أن الأهم من التخلّص الرغبوي بالتفكير بالأماني من الغرب، هو التخلّص من إغراءاته وإغواءاته التي تتراكم والتخلّص من روح الانبهار والولع التي سكنت نفوساً كثيرة وعقولاً ليست قليلة. ومع هذا السكن، يأتي الموقف السليم والخيار الرشيد. وقد أورثت هذه الأحوال في التفكير وطرائقه، في جملتها، مواقف مَرضية لا مُرضية في هذا المقام، وبدت تعاملاتها كأنها خارج دائرة المنهج الصواب والاستقامة على الطريقة العلمية والمنهجية.

وأخيراً، دعنا نتساءل عن هذا الوضع الحضاري المأزوم: هل نحن أمام حضارة التجاوز بلا حساب والانفلات من دون ناظم، والتشظّي من دون جامع؟ إننا بحقّ أمام منظومة فكرية، يبدو أنها وصلت إلى غاية سقوفها، فاستغرقت في هدم ما بنته ضمن سياقات التجاوز بلا حدود. وهذا جعلهم في «عداد النموذج «كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا»؛ فباتت الأحاديث والمسارات والاتجاهات والبوصلة والوجهة شديدة الاضطراب، بين نهايات صيغت ووجهة فتحت أبوابها بلا انضباط في سياقات الصراعات الفكرية والمعرفية، وبين ما بعديات اخترعت لتفيد عدم التحديد في سياقاتٍ تتدثّر بدعاوى الجديد المزعوم والنقد المهمّش المكتوم.

وغاية أمرهم أنهم نصبوا آلهة، ثم قرّروا في النهاية موتها المحتوم، فصدّرت طبعات لمفاهيم كثيرة يسبقها الموت «موت الفلسفة» و«موت الأيدولوجيا» و«موت الإله» و«موت الإنسان»، والأموات في جعبتهم الفكرية والمعرفية والحضارية حتى أن نبوءة غارودي، في كتابه المهم «حفّارو القبور»، صارت تشير إلى حضارة الموت في ثوب الحياة، وحضارة الحياة في ثوب الموت المحتمل والمنتظر ذلك كله ضمن حالة معرفية تسودها تعدّدية أقرب إلى فوضى الفكر وفوضى المعرفة وفوضى الفعل، ففقدت الحياة وجهتها وبوصلتها، حضارة تخرج من عقالها ومعقوليّتها، وتخسر كل يوم من رصيد معاييرها وإنسانيتها.

ورغم ذلك، من الأهمية بمكان أن يُشار إلى أساس استمرار هذه الحضارة وبقائها إلى حين، وهو امتلاكها جهازين خطيرين؛ التنبه والتكيّف. ولذلك كلما زاد الحديث عن انهيار حضارة الغرب، نجده لا يزال قادراً على معالجة ذلك من خلال التكيّف، وهو إن دلّ يدلّ على وجود مراكز رشد في هذه الحضارة تحاول، بشكل أو بآخر، أن تعطي لهذه الأفكار وزناً. لكنْ هناك إشكال في هذا الأمر، وهو ملتصقٌ بطبيعة مفهوم التكيّف وجوهره، فالتكيّف قد يحفظ عليك البقاء، ولكن هذا البقاء يصبح مسكوناً بالتآكل والتحلّل، خاصة وأن التكيّف لا يواجه الأسباب الحقيقية للمشكلة بوعي وسعي متكافئ معه، ولكنه يوفر لها قدرة على التعامل معها بشكل مؤقّت، ما يجعل المشكلات مستمرّة، وإن كان هناك قدرة باقية على التعامل معها، مثال ذلك مرض الإيدز، فمواجهته كانت من خلال التكيف معه والالتفاف عليه بأشكال كثيرة، ليس منها معالجة الظواهر التي سبّبته، فالانحرافات لا تزال كما هي، ولكن خيار التكيّف قد يوفر الأطر والأساليب التي قد تخفّف من بعض أخطاره وانتشاره، وتخترع طرق (وأساليب) التعامل الآني مع هذه الظاهرة، إلا أن هذا التعامل مع العرض لا أسباب المرض لا يقلّل من وجودها واستمرارها. إلا أن عملية الانهيار أو عدمه ليست هي المهمّة؛ بقدر ما نحن بحاجة إلى وجود عقل استراتيجي للأمة يكون قادراً على فهم اللحظة التاريخية التي تمرّ بها الحضارة الإنسانية، ويعمل على الاستفادة واستثمار هذه التطوّرات، ويستفيد من قصر نظر تلك الحضارة الغالبة الطاغية؛ ويبني ما يسعُه من بناء يكون قادراً على استثمار هذه اللحظة الفارقة في استنهاض الأمة وصناعة سياق قادر على استيعاب المتغيرات والاستفادة من التطوّرات على طريق التغيير والنهوض.

(كاتب مصري في إسطنبول)

متى تندلع «حرب لبنان الثالثة»؟

أحمد الجندي

ما زال القادة السياسيون والعسكريون الإسرائيليون، منذ اندلاع معركة طوفان الأقصى، يتوعّدون حزب الله بحرب طاحنة، يتم إخضاعه فيها تماماً، جديدها أخيراً تصريح رئيس الأركان الإسرائيلي هرتسي هاليفي عن اقتراب إسرائيل من النقطة التي سيكون لزاماً عليها أن تتخذ فيها قراراً بشأن التصعيد في الشمال، وحديثه عن استعداد الجيش للهجوم. تهديدات تتصاعد حدّتها، أو تتراجع، لكنها لا تتوقّف أبدا. ويحاول هذا المقال مناقشة مدى رغبة إسرائيل وجاهزيتها للذهاب إلى حرب واسعة واحتمال اندلاعها، بدلا من المناوشات الحالية المتصاعدة بين الحزب وإسرائيل، التي اعتبرها الصحافي في «يديعوت أحرونوت» يوسي يهوشوع حرباً حقيقية، لا مجرّد مناوشات، خصوصاً أن صواريخ الحزب ومسيراته الانتحارية أصبحت تصل إلى عكا، ومناطق يسكنها أكثر من 50 ألف شخص، علاوة على تضييق الحزب حرية عمل سلاح الجو الإسرائيلي في سماء لبنان، بإسقاطه المسيّرات الإسرائيلية المتقدّمة هيرمس 900.

يعرف الجميع، في إسرائيل وغيرها، أن الحرب ضد حزب الله لن تكون مثل غيرها، بل ولن تكون كحرب لبنان الثانية 2006، فما يمتلكه الحزب من ترسانة ضخمة من الأسلحة، وخطوط إمداد تسمح له باستكمال النقص الذي تتعرّض له ما يتيح له الاستمرار أمداً طويلاً في الحرب، وبيئة جغرافية صعبة، وتجربة سابقة ناجحة عام 2006 في مواجهة إسرائيل، يضع الأخيرة أمام خياراتٍ أحلاها مرٌّ.

يجد المتابع للإعلام الإسرائيلي نفسَه بين أمرين يبدوان متناقضين؛ رغم أن الحقيقة قد تكون عكس ذلك، فمن ناحيةٍ، تكثر المقالات والتحليلات بشأن الحرب المتوقعة واستعداد الجيش الإسرائيلي لخوضها. ومن ناحيةٍ أخرى، التأكيد أن الآثار التي ستترتّب عليها قد تفوق طاقة تحمّل المجتمع الإسرائيلي، وهو أمرٌ يمكن تفسيره أنه محاولة للدفع نحو تجنّب نشوب هذه الحرب في هذا الوقت على الأقل. كان معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي نشر تقريرا، في 6 يونيو/ حزيران الحالي، قيم فيه القدرات العسكرية على إصابة أهدافها بدقّة عالية، فضلاً عن تحسين أسلحته في مجال الجو عبر امتلاك مسيّرات هجومية واستخبارية. وقدّر التقرير أعداد الصواريخ التي يمكن أن تصل إلى تل أبيب وجنوبها بـ4500 صاروخ، و10500 صاروخ يصل مداها إلى الخضيرة جنوب حيفا، و67500 صاروخ تصل إلى منطقة حيفا، و75 ألف صاروخ ينحصر مداها في شمال فلسطين المحتلة. ويضع بعض العسكريين الإسرائيليين سيناريو متوقعاً للأضرار التي قد تلحق بإسرائيل لو اندلعت الحرب؛ فمن المتوقّع أن تواجه إسرائيل في الأسبوعين الأولين صعوبة في توفير خدمات الكهرباء والاتصالات، وربما خدمات المياه أيضاً، بشكل منتظم في المنطقة الشمالية الممتدّة من نهاريا حتى حدود حيفا. ويرى اللواء السابق في الجيش الإسرائيلي إسحاق بريك ذهاب إسرائيل إلى حرب كهذه كارثة حقيقية، ستتدمّر إثرها البنية التحتية من محطّات مياه وكهرباء ومرافق تخزين وقود وغاز ومصانع وغيرها. واعتبر بريك أن ما يحدُث حالياً في مستوطنات الشمال في ظل المواجهات المحدودة لن يكون شيئاً مقارنة بما قد يحدُث في حال اندلعت الحرب.

وتذكر تقديرات للجيش الصهيوني، تعود إلى ربيع 2022، استعداد الحزب، في حال اندلاع الحرب، لإطلاق آلاف الصواريخ يوميا في الأيام الأولى، ثم يستمر بمعدّل يومي يصل إلى 1500 صاروخ في بقية أيام الحرب. إلى جانب ذلك، سوف تسقط عشر صواريخ يومياً على الأقل في مناطق مأهولة في الشمال، وقد يصل عدد القتلى الإسرائيليين، في نهاية اليوم التاسع للحرب، إلى 300 جندي ومستوطن، فضلاً عن دمار أكثر من 80 مبنى في أنحاء متفرقة من البلاد. ويتحدّث رئيس جهاز الأمن القومي السابق اللواء احتياط يعقوب عميدرور عن أن اندلاع هذه الحرب سيضع إسرائيل في وضع صعب، لأن هذا الكم الهائل من الصواريخ اليومية ستصل إلى كل نقطة في جغرافيتها، فضلا عن عدم امتلاك إسرائيل إجابة جيدة عن كل أنظمة الأسلحة لدى الحزب ونوعها وكميتها. علاوة على أن نجاح القبّة الحديدية، حسب نائب رئيس وحدة الأبحاث السابق في المخابرات العسكرية العقيد احتياط رونين كوهين، «يرتبط بكم الصواريخ التي سيحافظ حزب الله على إطلاقها، وهي مسألة لم نواجه مثلها مطلقا».

> لن يكون المجتمع الإسرائيلي في أغلبه، والذي تراجع تأييده كثيراً للحرب في غزّة، مؤهّلاً لخوض حرب ضد حزب الله، أو بالأحرى لا يريد لهذه الحرب أن تقع
>
> تكثر المقالات والتحليلات في الإعلام الإسرائيلي بشأن الحرب المتوقّعة واستعداد الجيش الإسرائيلي لخوضها. ومن ناحيةٍ أخرى، التأكيد أن الآثار التي ستترتّب عليها قد تفوق طاقة تحمّل المجتمع الإسرائيلي

غير أن المعرفة بقدرات حزب الله والآثار المتوقّعة للحرب على إسرائيل لا تجيب عن السؤال الأهم بشأن احتمالية اندلاع حرب موسّعة في الشمال، التي يقول محللون إسرائيليون كثيرون إن الجيش وحزب الله غير راغبين فيها. وهي رغبة يمكن أن تتلاشى فجأة أمام إدارة سياسية متطرّفة وخرقاء في إسرائيل، وقدرة على المغامرة المحسوبة من حزب الله. تدعم ذلك تقارير أشارت إلى تجنّب سيناريو الحرب الواسعة في مناسبتين؛ أولاهما ما أشارت إليه صحيفة وول ستريت جورنال من إقلاع للطائرات الحربية الإسرائيلية في 11 أكتوبر/ تشرين الأول الماضي لشنّ حرب استباقية ضد حزب الله، غير أن الرئيس الأميركي هاتف نتنياهو حينها لوقف هذه العملية، ومن ثم عادت الطائرات إلى الهبوط. والأخرى ما تحدّث عنه خبراء إسرائيليون أن حزب الله، في أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، كان يفكّر بالفعل في اقتحام شمال فلسطين المحتلة، غير أن خطوة «حماس» في 7 أكتوبر أربكت حساباته، وأفقدته عنصر المفاجأة، فاضطرّ لتجميد هذه العملية حينها.

تخوض إسرائيل صراعاً نفسياً عميقاً، بين رغبتها في استعادة الهيبة بعد الإحساس بالانكسار وفقدان الردع أمام المقاومتين، الفلسطينية واللبنانية، والخوف من تبعات الحرب في الشمال وتأثيراتها الكارثية المتوقّعة على المجتمع، علاوة على الفشل وعدم القدرة على تحقيق أهداف الحرب المستمرّة أكثر من ثمانية أشهر وإرهاق الجيش واستنزافه، والإحساس بأنه لا مفرّ من زيادة الضغط العسكري على حزب الله لإعادة سكّان الشمال إلى مستوطناتهم. وهو صراع يعكس كيف تهاوت الثقة في قدرة القيادة السياسية على اتخاذ القرارات الصائبة، وفي قدرة الجيش على تحقيق الانتصار، وفي جاهزيّة المجتمع لتحمّل أعباء الحرب. في هذا السياق، يقول نائب رئيس الحكومة الأسبق حاييم رامون «إن إسرائيل لا يمكنها فتح جبهة أخرى في الشمال، في ظل جبهةٍ مفتوحةٍ بالفعل في الجنوب، وهي عاجزةٌ فيها»، أما إسحاق بريك فتحدّث عن أنه لا يمكن أن تشنّ إسرائيل حرباً على حزب الله في ظل وجود الجيش الحالي، وعدم قدرته على البقاء فيها فترة طويلة، يدفعان إلى التساؤل عن إمكانية أن تشنّ إسرائيل حرباً جديدة على حزب الله في جنوب لبنان في مثل هذا الوضع.

مؤكّد أن أسئلة كثيرة تتداعى إلى الذهن عن إمكانية اندلاع هذه الحرب، وحسابات كثيرة؛ ربما يكون أقلها أهمية إن كانت الإدارة الأميركية تريد اندلاع حرب كهذه في هذا الوقت، وهي تحاول وقف الحرب الدائرة في غزّة والتوصل إلى صفقة تبادل أسرى قبل الانتخابات الأميركية؟ أما الأسئلة الأكثر أهمية فتتعلق بالداخل الإسرائيلي ومدى استعداده لمواجهة تبعات الحرب واحتمالاتها من دمار وحركة نزوح داخلي واسعة، وهجرة عكسية إلى خارج فلسطين، وأضرار اقتصادية لا تمكن مقارنتها بنتائج الحرب في غزّة، ولا بحرب لبنان الثانية 2006. كما تتعلق بمدى جاهزية الجيش الذي يجمع الخبراء العسكريون الإسرائيليون، قبل غيرهم، على أنه يعاني من فشل متراكم على مستوى القيادة والضباط والجنود والتخطيط والجاهزية.

ما يظهر أن المجتمع الإسرائيلي في أغلبه، والذي تراجع تأييده كثيرا للحرب في غزّة، لن يكون مؤهّلاً لخوض حرب ضد حزب الله، أو بالأحرى لا يريد لهذه الحرب أن تقع أصلا، وهذا تعكسه كثرة الكتابات التي ترسم صورة مخيفة، وحقيقية في الأغلب، عن العواقب التي ستتحمّلها إسرائيل الدولة، والمجتمع والمشروع الصهيوني نفسه. وهي كتاباتٌ لا يمكن فهمها في سياق التعريف بقوة حزب الله، ولا في سياق إعداد المجتمع للحرب المحتملة، بل هي أقرب إلى تفهم في سياق صرف فكرة خوض إسرائيل هذه الحرب، حتى وإن كان قطاع عريض من المجتمع يفكر في ضرورتها من أجل استعادة الهيبة، وإعادة سكّان الشمال المهجّرين إلى مستوطناتهم. وهكذا تفهم تلك الأصوات في الحكومة الإسرائيلية، التي تطالب بتدمير حزب الله في حرب شاملة، على أنها تهديدات فارغة. لكن ذلك لا يعني استبعاد خيار «حرب لبنان الثالثة» كما يسمّيها الإسرائيليون، بل تأجيلها إلى عام 2026 على الأكثر حتى تصبح الظروف مؤاتية.

(كاتب مصري في إسطنبول)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات ليال حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads